نظرية الصفر اللغوي

مقاربة جديدة للنحو الكلي ومنهج مقترح لتحديث قواعد العربية

د. سناء حميد البياتي

جامعة بغداد / العراق

جامعة مالمو / السويد

الملخص

نظرية الصفر اللغوي تصف نظام آليّة عمل الدماغ لإنتاج اللغة والمراحل التي تمر بها الفكرة لكي تُنتج جملة منطوقة أو مكتوبة، والمراحل هي:

1- **مرحلة تحديد المعنى العام للفكرة فيما إذا كانت استفهامية أو منفية أو شرطية، فتتحدد الأداة المناسبة للمعنى العام، وإذا كان المعنى العام إخبار مثبت فتتحدد بدون أداة.**
2- **مرحلة ربط المفاهيم التي تشتمل عليها الفكرة، وليس هناك أكثر من أربعة روابط هي معاني النحو الرئيسة : (الإسناد ، التخصيص ، الإضافة ، التوضيح) وهي قواعد النحو الكلي (Universal Grammar) وهذه الروابط تربط أجزاء الفكرة التي ما تزال بشكل مفاهيم أو صور ذهنية، ويتم الربط بتنظيم هرمي رأسه الإسناد.**
3- **مرحلة اختيار الكلمات المناسبة للمفاهيم التي سبق ارتباطها في المرحلة الثانية، ويتم اختيارها من منطقة مخزن الكلمات أو ما يسمى بالمعجم الذهني.**

ويلاحظ أن الفكرة تتحدد من الكل إلى الجزء ومن العموم إلى الخصوص وبما يتناسب مع إدراك الإنسان للأشياء (نظرية الجشتالت الإدراكية)، كما تطرق البحث إلى الفرق بين نظرية الصفر اللغوي والنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي في توصيف عمل الدماغ لإنتاج اللغة. وقد اختبرتُ قواعد النحو الكلي التي توصل لها البحث على عدد من اللغات ونجح الاختبار، كما طبقتُ النظرية على اللغة العربية فكانت النتيجة قفزة في مجال تطوير النحو العربي، وكذلك اثبتت النظرية قدرتها على كشف إعجاز القرآن الكريم نحويا، وأثبتت من خلال توزيع الحالات الإعرابية بعلاماتها المعروفة على الكلمات في الجملة أن العقل العربي يتميز بالدقة والتنظيم، واقترحت الباحثة الإفادة من نظرية الصفر في حوسبة اللغة إن أمكن ذلك،

الكلمات المفتاحية

نظرية الصفر لقواعد النحو الكلي، نظام عمل الدماغ لإنتاج اللغة، الفرق بين نظرية الصفر والنظرية التوليدية التحويلية. نظرية الصفر وإعجاز القرآن الكريم، العلامات الإعرابية دليل على العقل المنظّم،

The Zero Linguistic Theory: A New Approach For Universal Grammar

Dr. Sana Al bayati

Many years ago when I was researching about the truth of language to find the system of Arabic language, I reflected hard within my own brain and found out the system of the brain's working mechanism to produce sentences and the stages that an idea goes through in order to become a spoken or written sentence in all languages, it is the basic rules for universal grammar, these stages are:

1-Determination the general meaning of the idea, whether it is interrogative, negative, or another kind of meaning and choosing the suitable particle for the general meaning of the sentence.

2-Responsible for relating the concepts of the idea's parts to each other, there are only 4 rules in every brain for linking. I named them grammatically and declared how they move pyramidically.

3-Choosing the suitable words to refer to the concepts that have been linked before.

I called these stages (Zero stages in language) which includes Universal Grammar.

I studied Arabic language through ZERO theory and achieved many great results in correcting Arabic Grammar.

Key words

Zero theory for Universal Grammar, Brain mechanism for language production, Transformational Generative theory

Update Arabic grammar.

المقدمة

يتفق العلماء عموما وعلماء اللغة واللسانيات خصوصا على أن اللغة منجز عقلي مقره الدماغ البشري.

لقد كان لبحثي في الثمانينات من القرن الماضي (1981-1983) في رسالتي للماجستير (نظام الجملة العربية) الدور المهم في امتداد البحث وتوصله إلى نظرية الصفر اللغوي؛ ذلك أن نظام الجملة العربية هو ذاته نظام اللغات جميعا والدليل إمكانية الترجمة من لغة إلى أخرى.

وليس ذلك بغريب أن يتمّ التوصل الى نظام اللغات عمومًا من خلال إحدى اللغات مادام مقرّ النظام في انتاج اللغات كافة يكمن في دماغ الإنسان.

ولا يُشترط فيمن يتوصل إلى نظام اللغات (قواعد النحو الكلي) أن يكون عارفًا أو ضليعًا بعدد كبير من اللغات، إذ يكفي أن يتوصل إلى النظام العام من خلال لغة واحدة - هي لغة الباحث في الغالب - وأن يختبر النتائج على لغة واحدة أخرى في الحد الأدنى، فإن زاد على واحدة في الاختبار فلن يغير ذلك شيئا من النتائج إذا كانت قواعد النظام صحيحة.

في موضوعي للماجستير كنت أبحث عن نظام الجُملة العربية، كنت أبحث عن الحقيقة العلمية التي تقف وراء انتظام الجمل كافة في اللغة العربية، وكنتُ على يقين أنّ نظامها يبدأ من دماغ مُنتجها، وأن لا مناص من الرجوع إلى الدماغ لاكتشاف ذلك النظام.

وكان للقراءات الكثيرة في كتب النحو القديمة بدءا من كتاب سيبويه، وكتب النحو الحديثة وأخص منها بالذكر كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) للدكتور مهدي المخزومي، والقراءة المعمّقة الفاحصة لكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الفضل الأكبر في شحذ ذهني وبلوغي درجةً من التحسس تفوق الحد الطبيعي، فتوغلت في دماغي وجعلته مختبرا أفكر وأتمثل أنواعا مختلفة من الجمل في دماغي وأنا أنطقُ بها وأتحسسُها مراتٍ ومرات، حتى اكتشفتُ المراحل التي تمرّ بها الأفكار قبل أن تولد فتصبح جُملا منطوقة أو مكتوبة، أي نظامها في الدماغ، وهذا النظام تشترك به جميع اللغات، وقواعده هي قواعد النحو الكلي (Universal Grammar) كما سيتضح من خلال الصفحات القادمة بإذن الله

ما هو الصفر في مجال اللغة، ولمَ سمّيتُها (نظرية الصفر اللغوي)؟

اللغة إنجاز إنساني ميّز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات ومكّنه من أدائها لما يمتاز به دماغ الإنسان من قدرات هائلة، وتُعدّ اللغة من أكثر إنجازات دماغ الإنسان تعقيدا، وعند تحليل أية لغة من لغات البشر نجدُها تتألف من مجاميع من الجُمل، والجملة هي أصغرُ تأليف يعبّر عن فكرة تامة، والأفكار تنشأ في دماغ الإنسان، وفي دماغ الإنسان يتم تأسيس الجمل المعبّرة عن تلك الأفكار نطقا أو كتابة، وفي الدماغ يتمّ تنظيم العلاقات والربط بين الأجزاء التي تحتوي عليها الفكرة، وتُعدّ مرحلة التنظيم التي يتم بها إنجاز الجُمل وتحويل الفكرة التي تحتوي على أجزاء أي - مفاهيم متعددة - إلى جُملة تُعبّر عن أجزائها بكلمات مرتبطة بعضها مع بعض بعلاقات معنوية منظمة، هذه المرحلة التنظيمية التي تسبق ولادة الجُمل كافة هي مرحلة (الصفر) ومقرها في دماغ الإنسان .

إنّ مرحلة الصفر في اللغة هي المرحلة الماثلة ما بين انبثاق الأفكار والجُمل المعبّرة عنها، وبعبارة أخرى هي مرحلة تأسيس الجُمل في الدماغ على وفق نظام معين مستقر فيه، وهذا النظام يرثه الإنسان كما يرث نُظمًا متعددة لإنجاز فعالياته المختلفة، وسأوضح تفاصيل هذا النظام الذي يُشغّله الإنسان عندما تتهيأ له ظروف التشغيل، وكما انّ الصفر في الرياضيات هو مرحلة بدء الأعداد وانطلاقها، وهو مرحلة تتوسط ما بين الأعداد الموجبة والأعداد السالبة، كذلك الصفر في اللغة، هو مرحلة البدء لإنجاز الجمل أو لإنتاجها لأنه مرحلة التنظيم والتأسيس التي تسبق ولادة الجمل بجميع أنواعها، وهو مرحلة تتوسط ما بين انبثاق الأفكار والجُمل المعبّرة عنها، وكما كان اكتشاف الصفر حدثا علميًا مهمًا في مجال الرياضيات ، كذلك حال اكتشاف مرحلة الصفر في مجال اللغة.

مخطط تقريبي لتوضيح مرحلة الصفر اللغوي

مرحلة الصفر في اللغة

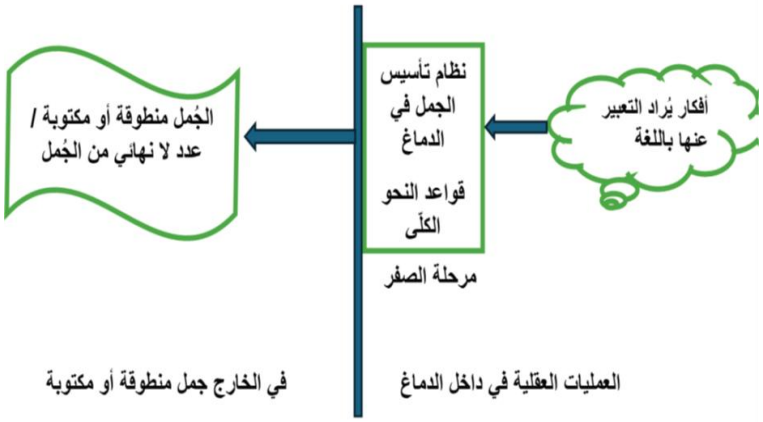

نظام مرحلة الصفر اللغوي أي(جهاز إنتاج اللغة) في الدماغ

أطلق اللسانيون على جهاز إنتاج اللغة في الدماغ البشري تسمية الصندوق الأسود وهم يقولون نحن نعرف المدخلات (in put) وهي الأفكار المراد التعبير عنها، ونعرف المخرجات (out put) وهي اللغة المعبرة عن تلك الأفكار ولكننا لا نعرف النظام (system) الذي يحول تلك الأفكار إلى لغة مفهومة .

نظرية الصفر اللغوي تكشف سر الصندوق الأسود وتوضح نظام آليّة عمله في أدمغة البشر جميعا لإنتاج اللغة.

ذكرتُ أنّ مرحلة الصفر في الإنتاج اللغوي تكمن ما بين الفكرة والجملة المعبّرة عنها، ويمكن القول إن الفكرة بعد انبثاقها، وبعد أن يتخذ الدماغ قرارًا بالتعبير عنها بواسطة اللغة، تدخل في مرحلة الصفر، أي في معمل أو جهاز إنتاج الجُمل، وقد اكتشفتُ أن جهاز إنتاج الجُمل في الدماغ مكوّن من ثلاثة أقسام، ينتقل العمل فيه من الكل إلى الجزء، ونظام عمل كل قسم كما يأتي:

القسم الأول :

يتم فيه تحديد المعنى العام للفكرة (الكل) فيما إذا كانت إخبارية مثبتة أو منفية أو استفهامية أو شرطية أو غيرها، وتحديد المعنى العام للفكرة إما أن يكون بدون أداة، وتلك هي الفكرة الإخبارية المثبتة، أو يتمّ تحديد المعنى العام للفكرة بأداة، وتلك للفكرة الاستفهامية والمنفية والشرطية وغيرها مما يتم تحديد معناها العام بأداة أو بطريقة معينة في الإنجاز بحيث يتميز المعنى العام للفكرة، ثم ينتقل الإيعاز إلى القسم الثاني.

القسم الثاني :

في هذا القسم توجد مديرية الربط بين أجزاء الفكرة، ويتم في هذا القسم تحديد العلاقات المعنوية بين أجزاء الفكرة التي سبق أن تحدد معناها العام، وهذه المديرية تعمل بنظام هرمي لربط المدلولات أي الصور الذهنية للأجزاء التي تشتمل عليها الفكرة، وليس في اللغة عموما أكثر من أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة تربط أجزاء الفكرة، واحد منها معنى مركزي رابط عليه تُبنى الجُملة وهو (الإسناد) وثلاثة معان ذهنية أخرى ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهي:(التخصيص) و (الإضافة) و(التوضيح التابع).

ويشكل (الإسناد) رأس الهرم في النظام الهرمي الذي يعمل بموجبه هذا القسم من الدماغ لربط أجزاء الفكرة، وطرق الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة، ثمّ ينتقل الإيعاز إلى القسم الثالث.

القسم الثالث :

يتم فيه تحديد الكلمات (الدوال) المناسبة واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم من الدماغ، وهذا القسم - مخزن - يُخزّن الكلمات باستمرار، فيتمّ اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن المدلولات التي اشتملت عليها الفكرة والتي قد تمّ ربطها بالمعاني الذهنية (النحوية) المذكورة سابقا .

فتخرج الفكرة من هذا المعمل وقد أصبحت جملة ذات معنى عام ومؤلفة من كلمات مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات معنوية (نحوية) منظمة .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن قانون الفروق الذي تعمل به كل اللغات لأمن اللبس ولإيصال الأفكار بوضوح يجعل تحديد المعنى العام للفكرة يتمّ إما بأداة (كالفكرة الاستفهامية والفكرة المنفية والفكرة الشرطية) أو بدون أداة (الفكرة الإخبارية المثبتة) وتتباين الأدوات بتباين المعاني العامة، فللنفي أدواته، وللاستفهام أدواته ، وللشرط أدواته، وإذا اشتركت أداة واحدة في أكثر من معنى عام ففي نظم الجملة وتأليفها أو طريقة أدائها وتنغيمها ما يميز المعنى العام لإحداها عن الأخرى كالفرق الملاحظ في طريقة نظم الجملة وأدائها بين الجملة الاستفهامية والجملة الشرطية حينما تشتركان بأداة واحدة، في مثل هاتين الجملتين : مَن يقرأ ؟ مَن يقرأ يستفدْ .

توضيح

ولتوضيح كيفية تأسيس الجُمل (الخبرية المثبتة) في الدماغ قبل ميلادها، نحاول أن نتحسس ما يجري في الدماغ بعد انبثاق فكرة معينة وقبل التعبير عنها بجُملة، ولنأخذ مثلا هذه الجُملة (الوردُ جميلٌ) نُحسّ أولًا أن الفكرة انبثقت ولكنها ضبابية إلى حد ما - وهكذا كل الأفكار تنشأ ضبابية ولكنها تحتوي على مجموعة أشياء بصورة مفاهيم أو صور ذهنية منعكسة عن واقعها خارج الذهن أوعن مفهومها، وهذه الصور هي أجزاء الفكرة أو أركانها - وعندما يتخذ الدماغ قرارًا بالتعبير عن الفكرة باللغة، تدخل الفكرة في معمل أو جهاز إنتاج الجُمل حيث يبدأ بتأسيس الجُملة، ويتم التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة، لأنّ التجرّد من الأداة دليلٌ على نوعٍ معين من الجُمل كما أنّ وجود أدوات دليلٌ على أنواع أخرى من الجُمل، ثم ينتقل الإيعاز إلى مديرية الربط حيث يتم تحديد العلاقة بين الركنين اللذين يشكلان فحوى الفكرة وهما: الصورة الذهنية للورد أي مدلوله ومفهوم الجمال، فيتم الربط بينهما بمعنى ذهني هو (الإسناد) حيث يُسند أحد المدلولين إلى الآخر، وطريقة الربط يتعارف عليها أبناء اللغة الواحدة، وبعد هذا الربط بين الصورة الذهنية للورد ومفهوم الجمال ينتقل الإيعاز إلى المرحلة الثالثة حيث يتمّ فيها تحديد الكلمات المناسبة (الدوال) واختيارها من بين الكلمات الكثيرة المخزونة في هذا القسم من الدماغ، فتتحدد كلمة (الورد) دون غيرها ويتمّ اختيارها من بين كلمات كثيرة مخزونة من فصيلة المدلول نفسه مثل (الزهور، الأزهار، الورود، الأوراد....الخ) وتتحدد كلمة (جميلٌ) دون غيرها من الكلمات، ويتمّ اختيارها من بين كلمات كثيرة بهذا المفهوم مخزونة في هذا القسم مثل (لطيفٌ، نَضِرٌ، عَطِرٌ،...) ولكن لم يقع الاختيار على هاتين الكلمتين (الوردُ جميلٌ) إلا بعد أن تحددت العلاقة بين مفهوميهما أو صورتيهما الذهنية وبعد أن ربط المدلولين معنى ذهني هو(الإسناد) أي إسناد الجمال للورد، وهكذا هي المراحل حتى تولد هذه الجملة الخبرية المثبتة المؤلفة من المسند إليه (الوردُ) والمسند (جميلٌ) مرتبطين بعلاقة (الإسناد).

إن الإشارة إلى الإسناد، هذا المعنى الذهني الرابط بين الكلمتين، تختلف من لغة إلى أخرى، والعربية اتخذت من العلامات الإعرابية وسيلة للإشارة إلى المعاني الذهنية الرابطة بين أجزاء الفكرة، وهذه تدخل في نطاق القواعد الخاصة بكل لغة، فبينما اتخذت العربية من الرفع (الضمة أو ما يقابلها) إشارة للربط الإسنادي، اتخذت الانكليزية أحد أفعال الكينونة إشارة للربط وحمّلته دلالة زمنية معينة هي الزمن الحاضر أو الماضي كما في (is,are,was,were). أما العربية فكان تجرد الجملة مما يدل على غير الزمن الحاضر أي عدم وجود (كان أو سيكون) دليلا على الزمن الحاضر فيها، فلا يمكن أن يكون الزمن غير الحاضر في جملة: (الطقُس معتدلٌ) مقارنةً بجملة (كان الطقسُ معتدلًا) التي تدل على الزمن الماضي أو (سيكون الطقسُ معتدلا) التي تدلّ على المستقبل.

ومثال آخر لمتابعة ما يجري في الدماغ بعد انبثاق الفكرة وقبل إنتاج الجملة، نحاول أن نتحسس كيفية تأسيس جملة أخرى تشتمل على مكونات أكثر من الجملة السابقة ، مثل جملة: (يحبُّ الشعبُ الرئيسَ المخلصَ) نُحِسّ أولًا أن الفكرة نشأت وانبثقت من منطقة أو مركز انبثاق الأفكار، وهي فكرة إخبارية مثبتة ولكنها ضبابية إلى حد ما وتحتوي على عدة أجزاء أو مفاهيم، وعندما يقرر الدماغ التعبيرعن هذه الفكرة باللغة تدخل الفكرة في معمل أو جهاز إنتاج الجمل حيث يبدأ الدماغ بتأسيس الجملة (ومن هنا يبدأ علم النحو طبقا لنظرية الصفر) فيبدأ التأسيس بتحديد معناها العام بدون أداة (لأن التجرد من الأداة دليلُ الجملةِ الإخبارية المثبتة) ثم ينتقل الإيعاز إلى مديرية الربط بين أجزاء الفكرة، فيتمّ الربط بين

مدلولين يشكلان ركنين من أركانها وذلك بعد إدراك العلاقة بينهما فيربطهما معنى ذهني هو (الإسناد) فالإسناد هو الرابط المعنوي (النحوي) المركزي الذي تُبنى عليه الجملة، وترتبط به بقية المعاني الذهنية أي النحوية، لذلك هو يشكّل (رأس الهرم) بالنسبة للمعاني الذهنية الأخرى المرتبطة به، وكلّما يتحدد الرابط بين مدلولين ينتقل المدلولان إلى المرحلة اللاحقة أي تحديد الدوال المرتبطة ببعضها واختيارها ، فيتحدد الفعل (يُحبُّ) من بين عدد كبير من الأفعال المخزونة في الدماغ وتتحدد كلمة (الشعبُ) من بين عدد كبير من الأسماء المخزونة في الدماغ، فيولد الإسناد بهاتين الكلمتين المحددتين المختارتين. أما المعنى الذهني الآخر الذي يربط الجزء الثالث بالإسناد فهو (التخصيص) الذي يُخصص المحبّة ويحددها بالرئيس، وأخيرًا رابط (التوضيح) الذي يحدد صفة الرئيس (المخلص) دون غيرها من الصفات، ويرتبط الموضِّح بالموضَّح ارتباط التابع بمتبوعه، يلتصق به ولا ينفصل عنه وليس له كيان مستقل بذاته سواء أتأخر عن متبوعه كما في العربية أم تقدم عليه كما في الإنكليزية .

إن عملية اختيار الكلمات تأتي عقب عملية الربط بين مدلولاتها بزمن غير ملحوظ فما أن يتم الربط بين مدلولين بمعنى ذهني رابط حتى ينتقل الإيعاز إلى مخزن الكلمات (المعجم الذهني) فيتم اختيار المناسب من الكلمات (دلالياً وصرفياً وصوتياً).

إن المعاني الذهنية الرئيسة الرابطة في كل أنواع الجمل وفي جميع اللغات لا تزيد على أربعة معان ذهنية رئيسة رابطة تشكّل (قواعد النحو الكلي) وهي :

1- **(الإسناد)** وهو عملية عقلية تقوم برط المسند إليه بالمسند، والإسناد هو المعنى النحوي المركزي الرئيس الذي يشكل رأس الهرم وعليه تُبنى الجملة.

أما المعاني الذهنية (النحوية) الثلاثة الأخرى التي ترتبط بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فهي : (التخصيص) و (الإضافة) و(التوضيح التابع).

2- (**التخصيص**) وهو عملية عقلية أو معنى ذهني (نحوي) واسع يضم تحت جناحه مجموعة معانٍ نحوية كالمفعولات بأنواعها كافة، والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص، فكلّها لتخصيص الإسناد وتحديده وتضييق إطلاقه وعمومه، ولكن كلّ نوع من المفاعيل يتخذ اتجاهًا في التخصيص غير الاتجاه الذي يتخذه المفعول الآخر، فبينما يخصص (المفعول به) الإسناد بما وقع عليه فعل الفاعل، مثل (شربَ الطفلُ الحليبَ) تجد (المفعول فيه) يخصص الإسناد باتجاه زمن حدوث الفعل (المسند) مثل : (سافرَ الرجلُ مساءً) أو (شربَ الطفلُ الحليبَ صباحًا).

وهكذا فإن (التخصيص) رابط معنوي واسع، يتفرع باتجاهات متعددة وكلها ترتبط بالإسناد مباشرةً، والإسناد هو الرابط المعنوي المركزي الذي يشكل رأس الهرم .

3- **(الإضافة)** وهي عملية عقلية تعمل على الربط ما بين المضاف والمضاف إليه من حيث نسبة أحدهما إلى الآخر، وكلاهما (المضاف والمضاف إليه) يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مثل : (ثوبُ الطفلِ نظيفٌ) فالمعنى الذي يربط كلمة (ثوب) بكلمة (الطفل) هو (النسبة) أي نسبة الثوب إلى الطفل التي أدت إلى إضافة إحدى الكلمتين إلى الأخرى، ولا ننسى أن إحدى الكلمتين (ثوبُ) هي مسند إليه، لذلك فإن الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد

(بالمسند إليه) مباشرة، وقد ترتبط بالإسناد بطريقة غير مباشرة، مثل : (يحفظ الطلابُ شعرَ المتنبي) فنسبةُ الشعر إلى المتنبي ربطت بين هاتين الكلمتين بإضافة إحداهما إلى الأخرى، ولا ننسى أن كلمة (شعر) مرتبطة بالإسناد- بالمسند يحفظ - بمعنى ذهني هو (التخصيص) الذي خصص وحدد ما يحفظه الطلاب بأنه (شعرَ المتنبي) وهو ما وقع عليه فعل الفاعل، لذا فإن الإضافة هنا ارتبطت بالإسناد بطريقة غير مباشرة .

والملاحظ ان النسبة التي تربط المضاف بالمضاف إليه تجعلهما بمثابة كلمة واحدة تعبران عن شيء واحد، فـ(ثوبُ الطفلِ) كلمتان في الشكل ولكنهما تعبران عن شيء واحد وليس شيئين. ولذلك فهما لا ينفصلان عن بعضهما وإذا تغيرت مواقع الكلمات فهما يتقدمان معاً أو يتأخران معاً.

وهناك نوعٌ ثانٍ من الإضافة وهي بوساطة أدوات الإضافة المسماة في العربية بحروف الجر، والمجرور هو مضاف إليه تمت إضافته بوساطة الأدوات حيث لا يمكن معه الإضافة المباشرة مثل: (مررتُ بزيدٍ)1.

4 - (التوضيح التابع) وهو عملية عقلية أو معنى ذهني(نحوي) يعمل على ربط الجزء اللاحق أي الموضِّح بالاسم السابق لغرض توضيحه ، فيجعله مرتبطا به وتابعًا له ولا وظيفة له من غير متبوعه ، كالصفة التي ترتبط بالموصوف فتوضحه ، وكلاهما الصفة والموصوف يرتبطان بالإسناد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فالارتباط المباشر مثل (الرجلُ المهذبُ محترمٌ) إذ إنّ كلمة (المهذبُ) ارتبطت بـ(الرجل) أي بالمسند إليه . والارتباط غير المباشر، مثل (قابلتُ رجلًا مهذبًا) فكلمة (مهذبًا) ارتبطت بـ (رجلًا) لتوضيحها باتجاه الوصف وكلمة (رجلًا) مرتبطة بالإسناد حيث خصصت وحددت ما وقعت عليه المقابلة، لذلك فالارتباط هنا غير مباشر والملاحظ ان المعاني الذهنية الرابطة التي تتعلق بالإسناد كلها تتجه نحو تضييق العموم وتقييد الإطلاق في الإسناد وتحديد الفكرة تحديدًا كاملًا .

وهكذا فان كلمات الجملة مرتبطة بعضها ببعض بشبكة من العلاقات المعنوية تبدأ من رأس الهرم (الإسناد) وتتفرع باتجاهات معنوية متعددة **فالإسناد** : يربط المسند إليه بالمسند وهو رأس الهرم والمعاني الثلاثة الرئيسة المرتبطة بالإسناد هي: **التخصيص** : يربط المفعولات كافة بالإسناد وكذلك يربط الحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، وكلٌ له جهة في التخصيص. **الإضافة**: تربط ما بين المضاف والمضاف إليه. وهي نوعان: إضافة مباشرة بدون أداة، وإضافة بوساطة الأدوات أي بوساطة أدوات الإضافة المسماة بحروف الجر، التوضيح: يربط الصفة بالموصوف، المؤكِّد بالمؤكَّد وغيرها مما سميت بالتوابع في النحو العربي .

1- يُنظر: الكتاب ، سيبويه ج1 ص 419 حيث يقول:(الجرّ إنما يكون في كل اسم مضاف إليه إذا قلت: مررتُ بزيد، إنما أضفت المرور إلى زيد بالباء). وتفسير ذلك أن الأفعال تضاف لأنها تتضمن الدلالة على (الحدوث) لذلك تتوسط أدوات الإضافة المسماة بحروف الجر في إضافة ما لا يمكن إضافته مباشرة وهي الأفعال.

ولنلاحظ المعاني الذهنية أي المعاني النحوية التي ربطت أجزاء هذه الجملة:

(يتأملُ الإنسانُ العاقلُ خلقَ الكونِ) .

الإسناد: الذي حدد العلاقة بين (يتأملُ) و (الإنسانُ العاقلُ) وربطهما ببعضهما

2- **التوضيح:** الذي حدد العلاقة بين (الإنسانُ) و(العاقلُ) وربطهما ببعضهما .

3- **التخصيص:** الذي خصص وحدد العلاقة بين (يتأملُ) و(خلقَ الكونِ) وربطهما ببعضهما.

4- **الإضافة:** التي حددت العلاقة بين (خلقَ) و(الكونِ) وربطتهما ببعضهما .

ولولا هذا النظام في ربط الأجزاء لتبعثرت الكلمات، ولَما دلّت على معنى مفهوم. فهل تفهمُ شيئًا لو سمعتَ قائلًا يقول :

العاقل الكون الإنسان خلق يتأمل**!؟**

وقد تُؤسَس بعض الجُمل على بعض هذه المعاني الذهنية الرابطة كالإسناد والتخصيص. نحو: (كتبَ زيدٌ رسالةً) أو الإسناد والتخصيص والتوضيح، نحو: (كتبَ زيدٌ رسالةً قصيرةً) أو الإسناد والإضافة، نحو:(رسالةُ زيدٍ قصيرةٌ) وفي كل الأحوال لابد من الإسناد (رأس الهرم) عند تأسيس أغلب الجُمل وتنظيم العلاقات بين أجزائها.

أما الجُمل التي يتحدد معناها العام بالأدوات ، مثل الجمل الاستفهامية والجمل المنفية والجمل الشرطية ، فتحديد المعنى العام الذي يُهيمن على جو الفكرة بأداة معينة هو المرحلة الأولى في تأسيسها ، وهذا ما يميزها عن الجمل التي يتحدد معناها العام بدون أداة ، فيتمّ تحديد المعنى العام بالأدوات كأدوات الاستفهام وأدوات النفي، وترتبط الأداة بأحد أجزاء الجملة وهو – أي الجزء الذي ارتبطت به الأداة – واقع ضمن شبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي ، كهذه الجملة

(هل فهمَ الطلابُ الدرسَ؟) فالاستفهام هو المعنى العام الذي يحتضن الفكرة وقد جاءت الأداة (هل) لتعبّر عن هذا الجو العام للفكرة، وقد ارتبطت (هل) بشبكة العلاقات ذات التنظيم الهرمي وهيمنت على الجملة من خلال ارتباطها بالمسند(فهم) إذ تحددت العلاقات بين الأجزاء/ المدلولات وارتبطت بمعان ذهنية بتنظيم هرمي عقده (الإسناد) رأس الهرم الذي ربط المسند إليه (الطلاب) بالمسند (فهم) والمعنى الذهني الآخر (التخصيص باتجاه المفعول) الذي ربط الدرس بالإسناد ، وهكذا يهيمن الاستفهام على الجملة ويختص بالجزء المرتبط به .

ويمكن للرسم التوضيحي الآتي أنْ يُقدّمَ تصوّرًا تقريبيًا للمراحل الثلاث التي تمرّ بها الفكرة من أجل أن تولد فتكون جملة منطوقة أو مكتوبة، وما يجري في الدماغ من عمليات ذهنية، والتنظيم الهرمي لربط المدلولات، ثم اختيار الكلمات من أجل انتاج جُملٍ ذات معنى مفهوم.

مخططات لآليّة عمل الصندوق الأسود

جملة خبرية مثبتة

جملة خبرية

مثبتة

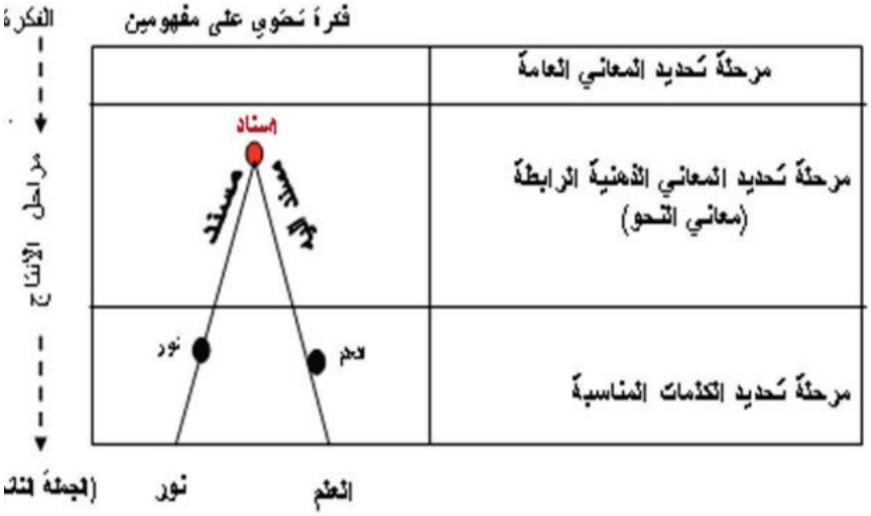

مخطط لفكرة خبرية مثبتة تشتمل على عدة مفاهيم

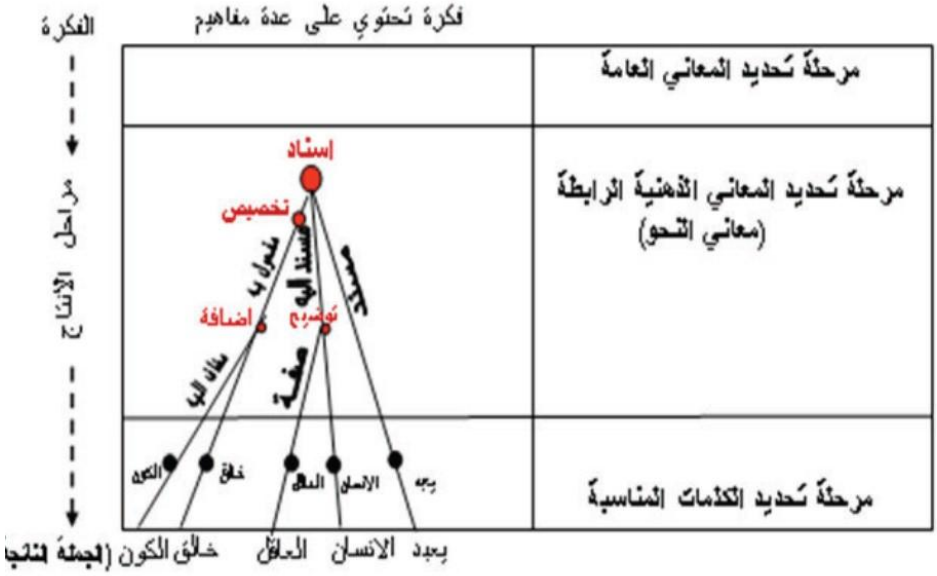

مخطط لإنتاج جملة ذات معنى استفهامي أو منفي أو ....

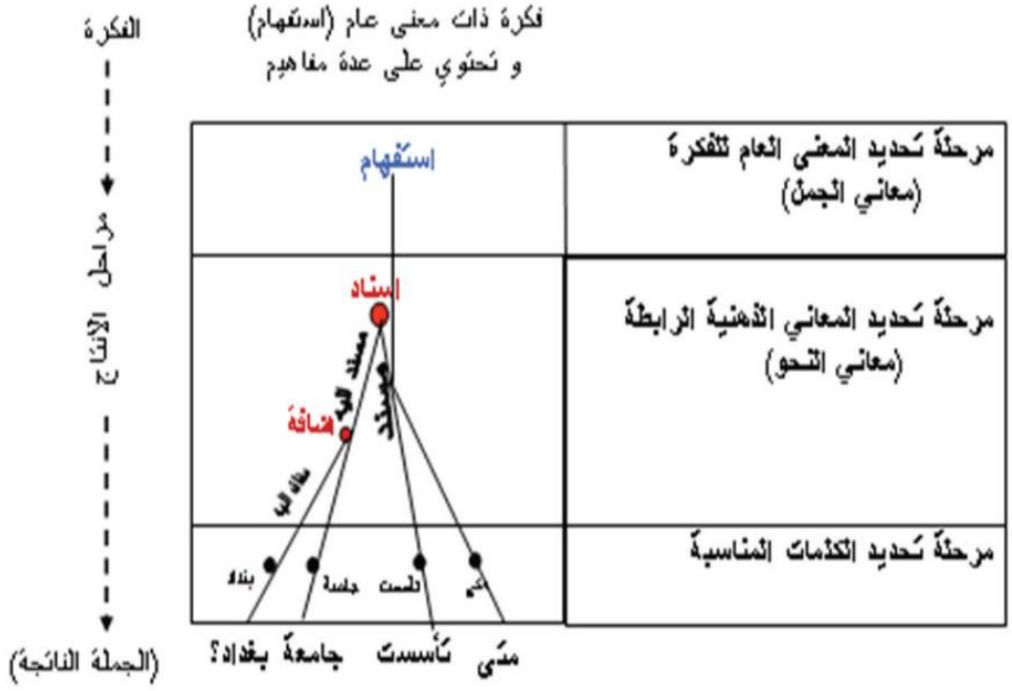

إن هذا التوضيح لكيفية تأسيس الجملة في دماغ الإنسان والمراحل التي تمر بها الفكرة إلى أن تولد في جملة لا يعني أن هناك زمنًا ملاحظًا يفصل بين الفكرة والجملة المعبرة عنها ، فما ان تنشأ الفكرة الاستفهامية حتى تعبّر عنها الأداة المناسبة، وما أن تتحدد العلاقات بين الأجزاء حتى يتم تحديد الكلمات المناسبة واختيارها، فتولد الجملة بكلمات متعلقة بعضها ببعض، وهكذا فإنّ كل معنى ذهني رابط يربط بين المدلولات يقترن بالكلمات المناسبة، والتعبير عن الفكرة يتم بعد انبثاقها بوقت غير ملحوظ، أي أن الزمن المستغرق في تحويل الفكرة إلى جملة لا يكاد يُلاحظ .

إن النظام الذي وصفته آنفا، والمراحل التي تمر بها الفكرة في دماغ الإنسان من أجل إنتاجها لتكون جملة منطوقة أو مكتوبة، هو النظام الذي تعمل بموجبه جميع اللغات لإنتاج الجمُل، وقواعده هي قواعد النحو الكلي

.(The Universal Grammar)

وهذا التوصيف لآلية عمل الدماغ ونظامه في إنتاج الجُمل يبقى صحيحًا ما لم تبرهن المعطيات اللاحقة عدم صحته.

وفي الرسوم الآتية توضيح لنظام تأليف الجملة، وفيه تبدو العمليات العقلية وقد اتخذت شكل دوائر ملونة، كل عملية عقلية ذات معنى ذهني بلون معين، وإيعازات الربط تبدو بشكل أسهم تربط بين العمليات العقلية أي المعاني الذهنية (النحوية) التي تشتمل عليها الجملة:

Zaid is smart

Zaid reads

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي : **الإسناد**

Zaid visited the museum

Zaid traveled yesterday

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الانكليزية هي: **الإسناد** و **التخصيص**

Zaid's house is clean

Zaid went to the museum

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي : **الإسناد** و **الإضافة**

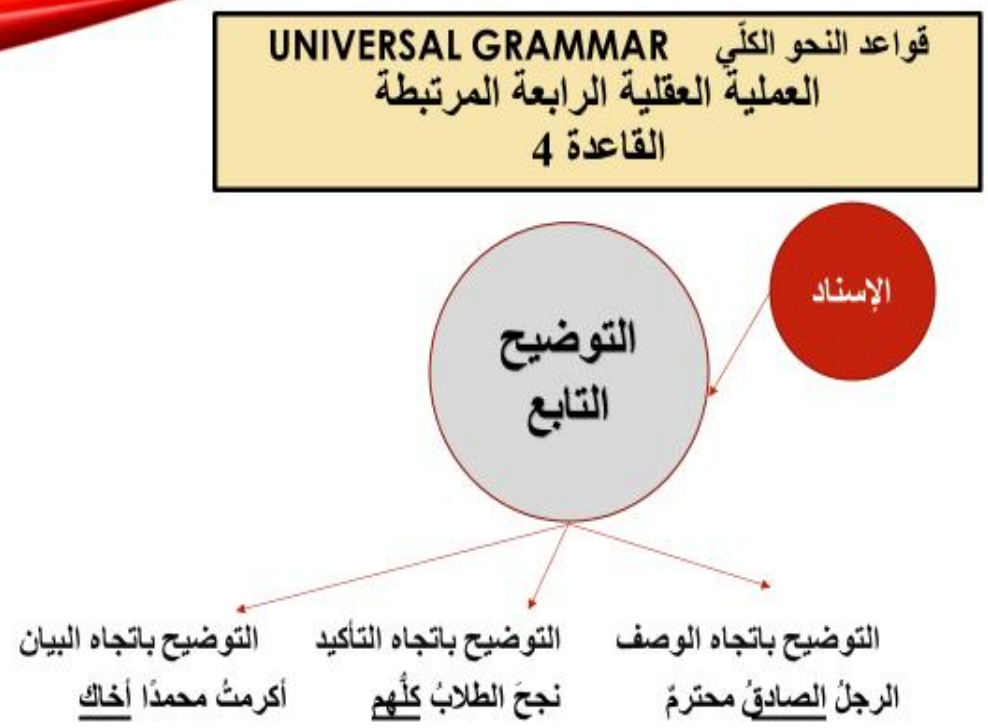

The smart student succeeded

Your brother Zaid succeeded

العلاقة الرابطة بين هذه الكلمات سواء في العربية أم في الإنكليزية هي: **الإسناد** و **التوضيح**

اختبار النظام أي قواعد النحو الكلي على اللغة العربية واللغة الإنكليزية واللغة السويدية:

نماذج للروابط / القواعد المشتركة بين اللغات

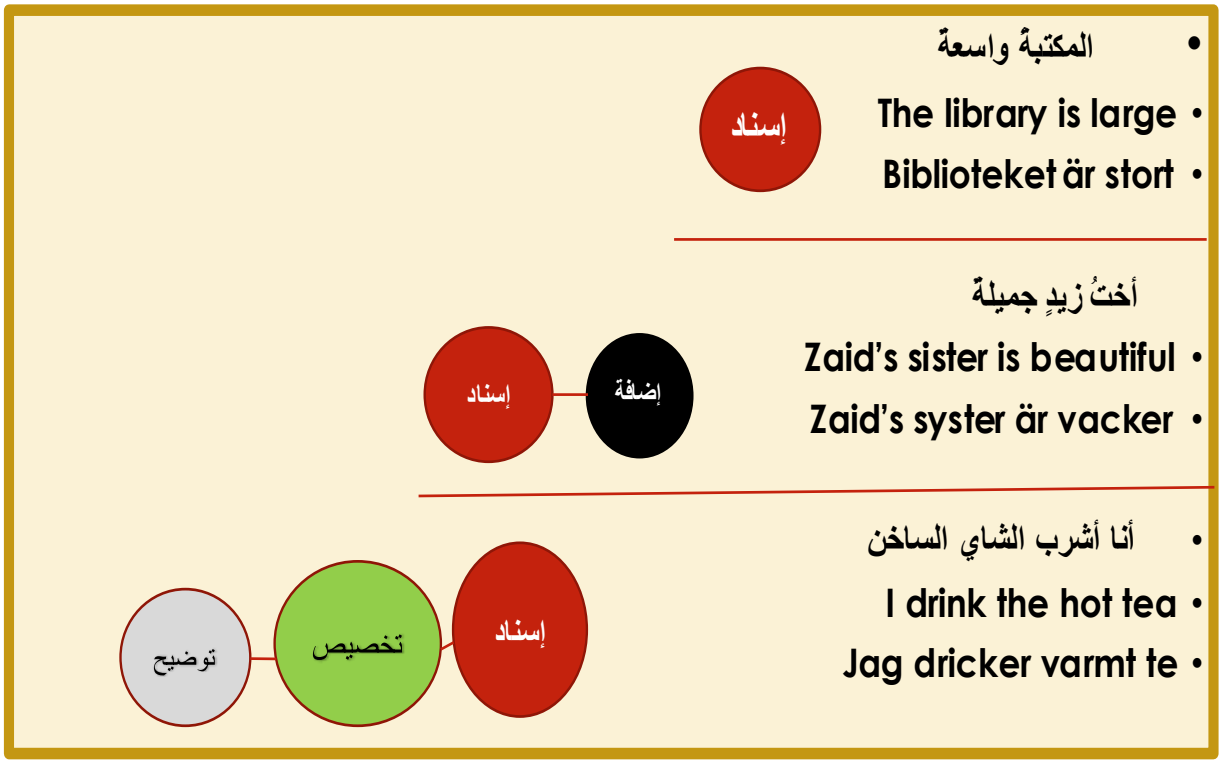

أما إذا كانت الجملة منفية أو استفهامية أو شرطية أو غير ذلك من المعاني العامة التي تهيمن على الجملة ، فتلك المعاني مشتركة في جميع اللغات وتحددها المرحلة الأولى من مراحل انتاج الجملة ثم تعود الروابط نفسها (الإسناد ، التخصيص ، الإضافة ، التوضيح) لتربط بين أجزاء الجملة مهما كان نوعها وفي جميع اللغات وهي قواعد النحو الكلي Universal Grammar.

نموذج نظرية الصفر اللغوي

نظام آلية عمل الدماغ من الكل إلى الجزء

المتكلم

عنده فكرة
يريد التعبير عنها باللغة

تمر الفكرة بثلاث مراحل في جهاز إنتاج اللغة في دماغه

(النحو الكلي أو الكوني)

هذا الجهاز موجود في أدمغة جميع البشر
وفي هذا الجهاز يمكن النحو الكلي أو الكوني.
واختلاف اللغات إنما هو اختلاف في إدارة وتوجيه هذا النظام.

1 المرحلة الأولى: تحديد نوع الفكرة

تحديد نوع الفكرة فيما إذا كانت:

خبرية مثبتة	منفية	استفهامية
تحدد بدون أداة	تحدد الأداة الأساسية	تحدد الأداة الأساسية

2 المرحلة الثانية : ربط مدلولات أجزاء الفكرة

ربط الصور الذهنية والمفاهيم التي تشمل عليها الفكرة بمعاني النحو التي لا تزيد على أربعة معان:

- الإسناد (العلاقة الأساسية)
- التخصيص (تحديد)
- الإضافة (ربط)
- التوضيح (بيان)

ترتبط هذه المعاني بتنظيم هرمي رأسه الإسناد

3 اختيار الدوال المناسبة لمدلولاتها

اختيار الألفاظ والتراكيب المناسبة لمدلولاتها من المعجم الذهني (المخزون اللغوي)

المعجم الذهني (المخزون اللغوي)

أسماء	أفعال	صفات
حروف	أدوات	تراكيب
...		

4 النتيجة

تخرج الفكرة وهي جملة مترابطة إجراؤها بمعاني النحو

تتائج وفوائد نظرية الصفر اللغوي (من الكل إلى الجزء)

1. كشف إعجاز القرآن الكريم نحويا
2. إصلاح وتيسير النحو العربي
3. تسهيل تعليم أي لغة للناطقين بغيرها باعتماد قواعد النحو الكلي
4. للذكاء الاصطناعي محاكاة عمل الدماغ يؤدي إلى سهولة في التوليد ودقة في الترجمة
5. مدخل لمعرفة أمراض الكلام حسب الخلل في كل مرحلة من مراحل الإنتاج

مقارنة بين نظرية الصفر اللغوي والنظرية التوليدية التحويلية

قد تتبادر لذهن القارئ نظرية تشومسكي (التوليدية التحويلية) لأنه يتحدث عن الفطرة اللغوية وعن البنية العميقة والبنية السطحية ويطمح للتوصل إلى قواعد النحو الكلي، لذلك يجدر بهذا البحث أن يذكر الفرق بين نظرية الصفر اللغوي والنظرية التوليدية التحويلية ما دامت كلتاهما تتبنى المنهج العقلي في التوصل إلى نظام اللغة في الدماغ البشري وتحديد قواعد النحو الكلي:

1- لم يتوصل تشومسكي في نظريته إلى معرفة آليّة عمل الدماغ ونظامه في إنتاج الجمل بينما وصفت نظرية الصفر نظام انتاج الجمل وحددت آليّة عمل الدماغ بثلاث مراحل ينتقل العمل فيها من الكل إلى الجزء وبما يتناسب مع إدراك الإنسان للأشياء ، والمراحل الثلاث هي: (مرحلة تحديد المعنى العام للفكرة) ، (مرحلة تحديد معاني النحو الرابطة بين مدلولات أجزاء الفكرة) ، (مرحلة تحديد الدوال/ الكلمات المناسبة لمدلولاتها).
2- لم يتوصل تشومسكي إلى قواعد النحو الكلي أي القواعد المشتركة بين اللغات Universal Grammar وهي معاني النحو الكبرى الرابطة بين أجزاء الجملة التي حددتها نظرية الصفر ب(الإسناد ، التخصيص ، الإضافة ، التوضيح).
3- طوّر تشومسكي نظريته من التوليدية إلى التوليدية التحويلية وفيها يتحدث عن (الجملة النواة) وكأن الجملة تولد في الدماغ بأصغر شكل ثم تتحول في الدماغ وبطريقة ما إلى شكل أخر بالتقديم أو الزيادة أو الحذف أو بتحويل الجملة من خبرية مثبتة إلى استفهامية أو منفية ثم تخرج في البنية السطحية بشكلها النهائي بعد التحويل الذي جرى عليها في الدماغ، وهذا ما ترفضه نظرية الصفر رفضًا قاطعًا وتؤكد بطلانه لأن الجملة حسب نظرية الصفر تولد كما هي دونما تحويل من شكل إلى آخر ومعاني النحو الأربعة الرابطة هي النواة في تأسيس الجمل كافة بما فيها تلك التي سماها (الجملة النواة) فإذا كان هناك تقديم للمفعول به في الجملة فإن الإيعاز سيسقط على المفعول به قبل الفاعل ولأن الجملة تولد استفهامية أو منفية منذ البدء وذلك عندما يتحدد المعنى العام للفكرة في مرحلتها الأولى فهي لا تولد خبرية مثبتة ثم تتحول الى استفهامية او منفية.

وبذلك تكون (**نظرية الصفر**) قد توصلت للكشف عن النظام الذي تعمل بموجبه جميع اللغات في الدماغ البشري، وحددت أربع قواعد مشتركة بين اللغات جميعا هي قواعد النحو الكلّي (Universal Grammar) مقرّها في دماغ الإنسان، وهي التي يحافظ ويحرص المترجم عليها حين ينتقل من لغة إلى أخرى، ثم بيّنتُ أن نظرية الصفر أعمق وأدق من النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي التي لم تتوصل لمعرفة نظام آلية عمل الدماغ لإنتاج اللغة فوقعت في تخبّط فكرة التحويل بعد التوليد وهذا ما ترفضه نظرية الصفر، وأخيرًا تميزت بكونها نظرية صالحة للتطبيق في اللغة العربية عمومًا وفي القرآن الكريم على وجه خاص.

نتائج تطبيق نظرية الصفر في اللغة العربية

أولًا: يكشف تطبيق نظرية الصفر اللغوي إعجاز القرآن الكريم نحويًا:

بما أن (نظرية الصفر اللغو) هي امتداد ونتيجة لمفهوم النظم وتوخي معاني النحو عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، فإن تطبيق نظرية الصفر في لغة القرآن الكريم يفتح امام الباحثين أبواب إعجازه نحويًا، حيث يُصار إلى دراسة النص كما هو في التنزيل دونما إجراء تغييرات أو تقدير كلمات غير موجودة إرضاءً لقاعدة نحوية، كما في قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت) حيث قدّروا (بحسب نظرية العامل) فعلًا محذوفًا يشبه الفعل المذكور(انفطرت) على أن يسبق الفاعل (السماء) أي التقدير: إذا انفطرت السماءُ انفطرت، والسبب أن القاعدة -بحسب نظرية العامل- لا تجيز تقديم الفاعل على فعله لأنه معمول والمعمول لا يتقدم على عامله، وبما أن الشرط يقتضي سياقا فعليا أي جملة فعلية لأنه تعليق حدوث حدث بحدوث حدث آخر، والحدوث من سمات الأفعال لذلك اضطروا إلى إدخال تغييرات على النص وإضافة كلمة غير موجودة من أجل سريان قواعدهم المستندة إلى نظرية العامل، وكذلك أية نظرية لا تجيز تقديم الفاعل على فعله تخفق في كشف إعجازه في كثير من المواضع، لذلك اخفقوا في كشف إعجاز القرآن الكريم في هذا النص وأمثاله الذي تقدمت فيه كلمة (السماءُ) وهي فاعل للفعل (انفطرت) وإنما كان التركيب بهذا الشكل كي يجعل ذهن الملتقي يتعلق بالسماء وترتسم صورتها في ذهنه وتبقى عالقة في انتظار الفعل وذلك ما يجعل هول المنظر المتصوّر أكثر وقعا وتأثيرًا في المتلقي، وشتان ما بين قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت) والنص المصطنع: إذا انفطرت السماء انفطرت.

هذا نموذجً للفرق بين تطبيق نظرية الصفر وتطبيق نظريات أخرى عند محاولة الكشف عن الإعجاز القرآني نحويًا.

ثانيًا: تسهيل تعليم قواعد أي لغة للناطقين بغيرها

عندما نقيم المنهج النحوي بالاستناد إلى النظام العام لتأليف الجمل في اللغات كافة، يتيسر تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكذلك يتيسر تعليم أي راغب في تعلم لغة أخرى غير لغته الأم، وذلك لوجود رابط مشترك بين اللغات كافة مما يسهل عملية التعلم لمن يتقن لغته ويفهم نظامها ويرغب في تعلم لغة أخرى تشترك مع لغته بنظامها العام في تأليف الجمل.

ثالثًا: حوسبة اللغة

ربما ينفع اكتشاف النظام الذي تعمل بموجبه اللغات كافة في مجال حوسبة اللغات، وهذا الأمر يتطلب متخصصين في حوسبة اللغة.

رابعًا:إصلاح جذري لمناهج تعليم قواعد العربية على وفق منهج جديد يستند إلى نظرية الصفر اللغوي:

وفيما يأتي صفات المنهج المقترَح الذي يستند إلى نظرية الصفر اللغوي بالمقارنة مع المنهج التقليدي المستند إلى نظرية العامل:

1- يُلغي المنهج المقترح فكرة العمل والعامل في النحو العربي وما يترتب عليها كمنع تقديم الفاعل على فعله، وبهذا يختلف تحديد نوع الجملة في هذا المنهج عن المنهج التقليدي ، فكل من جملة (نجحَ زيدٌ) و(زيدٌ نجحَ) فعلية، و (زيد) فاعل في كلتا الجملتين سواء أكان متقدما على فعله أم متأخرا عنه، وما التقديم إلّا للاهتمام والتركيز على الجزء المتقدم أو لأسباب أخرى.

2-عندما يكون الفاعل مذكورًا ومصرحًا به في الجملة أو في السياق فكل ما يرتبط بالفعل من أحرف إنما هي لواحق للمطابقة، أي مطابقة الفعل للفاعل المتقدم، المطابقة في التأنيث والتذكير وفي العدد، ولا فرق بين تاء التأنيث الساكنة في كونها لا محل لها من الإعراب عن سواها من اللواحق الدالة على المثني المذكر أو جماعة الذكور أو جماعة الإناث، فالتاء المرتبطة بالفعل في (الطالبة نجحتْ) والألف في (الطالبان نجحا) والواو في (الطلاب نجحوا) والنون في (الطالبات نجحن)، كلها لواحق لمطابقة الفعل للفاعل المتقدم.

3- يُلغي المنهج المقترح المستند إلى نظرية الصفر اللغوي فكرة النسخ في النحو العربي كليًا، والأبواب التي جمع فيها النحو التقليدي عددا من الأفعال سُميت بالأفعال الناسخة مثل باب (كان وأخواتها) وباب (ظن وأخواتها) و (أفعال المقاربة والشروع) والأحرف الناسخة التي سُميت بالأحرف المشبهة بالفعل أي (إنّ وأخواتها/ وهي لا شبَه لها بالفعل من حيث الدلالة إطلاقا) كل هذه الموضوعات تُدرس بطريقة مُيسّرة مقنعة مستندة إلى المعنى، إذ لا يمكن أن يكون أصلُ أي جُملةٍ جُملةً أخرى؛ لأن أصلَ كل جملة هو المعاني الذهنية التي انتجتها وهي التي تربط بين كلماتها. فمثلا لا يمكن أن يكون أصل جملة (ظننتُ زيدًا مذنبًا) هو (زيدٌ مذنبٌ) ثم دخلت (ظنّ) فنسخت المبتدأ والخبر وجعلتهما مفعولين لها. ومثل ذلك جميع النواسخ.

4- بما أن أصلَ أي جملةٍ يستندُ إلى المعاني الذهنية المؤسسة لها والكامنة في الذهن وليس أصلُها جُملةً أخرى، يعالج المنهج المستند إلى نظرية الصفر موضوع (المبني للمجهول) بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية، ويقدّم أفعاله على أنها صيغٌ خاصة : (صيغة فُعل) و(صيغة يُفعل) وهي أفعال تُسند لغير الفاعل الحقيقي، وإذا يُراد إرجاع هذا النوع من الجُمل لأصلها فأصلها في دماغ منتجها متمثلًا بإسناد الفعل وهو بصيغة معينة لغير الفاعل الحقيقي، ولا يصح أن نربطها بجملة أخرى نخترع لها فاعلا ونعدّها الأصل، وإنما هي صِيغ متنوعة للأفعال منها ما يُسند إلى الفاعل الحقيقي، ومنها ما يسند لغير الفاعل الحقيقي.

وهكذا ينظر المنهج المقترح إلى الجملة ذاتها ومن خلال السياق الذي تكون فيه من دون إرجاعها قسرًا إلى جملة أخرى فيها فاعل نحدده بالتخمين وندعي أنها الجملة الأصل.

5- لا يلجأ المنهج المقترح للتقدير، وأقصد به التقدير المُخل بالمعنى، لأن القواعد تُستخلص من معنى الجملة ومن السياق كما هو موجود أمامك في النص، فلا يُفرض على النص ما ليس فيه لأجل قاعدة مُسبقة، فليس

هناك تقدير لفعل محذوف يسبق الفاعل في مثل قوله تعالى: (إذا السماءُ انفطرت). وليس هناك تقدير لاسم (لات) محذوف في قوله تعالى: (فنادوا ولات حين مناص) إذ لا يصح اختراع كلمات غير موجودة من أجل إرضاء القاعدة المفروضة على الجملة. أما منهج نظرية الصفر فينظر إلى الجملة ككل من أجل أن تنبثق القاعدة من الجملة ذاتها، ويُنظر إلى الأجزاء على أنها وحدات تتآلف مع بعضها من أجل تحقيق المعنى المطلوب.

6- يكشف منهج نظرية الصفر عن دلالات كثيرة لأبنية الأفعال غير دلالتي (الحدث والزمن) التي اقتصر عليها المنهج التقليدي، وأهم دلالة في الأفعال لم يُسلّط عليها الضوء هي دلالة (الحدوث) والواقع إن الفعل ليس ما دل حدث مقترن بزمن فقط، وإنما هو ما دل على (حدث) و(حدوث مقترن بزمن)، أي إن (الحدوث) هو الذي يقترن بالزمن وليس الحدث، ودلالة الحدوث هذه هي الدلالة المشتركة بين أبنية الأفعال جميعًا، وهي التي تتجه اتجاهات مختلفة تبعًا لمعنى الجملة، فاقتران (كاد) أو إحدى أخواتها بالفعل يُقرّب حدوث الفعل، نحو: (كادَ الطفلُ يغرقُ)،وكقوله تعالى: (يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار)، واقتران (كان) أو إحدى أخواتها بالفعل ـ عدا ليس ـ يوجه زمن حدوث الفعل إلى جهة زمنية معينة أو إلى توقيت في ذلك الزمن، كقوله تعالى: (فاصبح يقلّبُ كفيه على ما انفق فيها) حيث دل الفعل أصبح على أن زمن الجملة هو الماضي، كما دل على تبدل الحال في الصباح عما كان عليه قبل ذلك، وما دام زمن الجملة قد اتضح من خلال الفعل (أصبح) تفرغ الفعل (يقلّبُ) لدلالة أخرى غير الزمن وهي الدلالة على تصوير حدوث تقلّب الكفين على بعضهما وكأنك تراهما في تصوير متحرك (فيديو)، وتلك دلالة مهمة من دلالات صيغة (يفعلُ) وهي تصوير حدوث الحدث بتفاصيله شيئًا فشيئا، وثمة دلالات أخرى خاصة بكل صيغة من صيغ الأفعال داخل الجملة مما يعزز قولنا بثراء العربية وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني.(1)

7- استنادًا إلى الملاحظة السابقة وخلافًا للمنهج التقليدي، فإن في اللغة العربية ألفاظا تقترن بالفعل في الجملة هي: **(موجهات الزمن وموجهات الحدوث) وقد سميت في اللغات الأخرى أفعال مساعدة** ، وهي في الواقع ليست أفعالا لعدم تضمنها على الحدث والحدوث، إذ يبقى الحدث والحدوث في الفعل المقترن بها، وهذه الموجهات نوعان : منها ما يوجه زمن الفعل الرئيس إلى وجهة زمنية معينة، ومنها ما يوجه حدوث الفعل الرئيس نحوَ المقاربة أو نحو الشروع.

نلاحظ المثال الآتي :

(**كانت** الغيومُ **تملأُ** السماءَ، ثم **بدأ** المطرُ **ينهمرُ** بغزارةٍ، و**كادت** الشوارعُ **تغرقُ** من كثرةِ المطر).

في هذا المثال دليل على أن حدوث الأفعال كلها كان في الزمن الماضي، ولفظة (كانت) وجهت زمن الفعل (تملأ) باتجاه الماضي، ولفظة (بدأ) وجهت حدوث الفعل (ينهمر) باتجاه الشروع، ولفظة (كادت) وجهت حدوث الفعل (تغرقُ) باتجاه المقاربة.

---

(1) يُنظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد البياتي ص42-105دار وائل للنشر 2003م.

8- يستطيع المنهج المقترح أن يحلّ مشكلة الزمن في الفعل؛ لأن **الفعل** - *بحسب نظرية الصفر اللغوي* - **بناء يتقبل الزمن بمختلف اتجاهاته ومعنى الجملة في سياقها هو الذي يحدد زمنه،** لذلك فإن تحديد زمن الفعل لا يتم إلا من خلال الجُملة، ومعنى الجُملة هو الذي يحدد اتجاه زمن الفعل فيها، فأين الزمن الماضي في قوله تعالى: (أتى أمر الله فلا تستعجلوه)؟ ولكن المنهج التقليدي درس الفعل منفصلًا عن جملته ولم يراع السياق فلم يتوصل الى الدلالات الزمنية المتعددة للأفعال في العربية. وعندما نستنبط زمن الفعل من خلال الجمل والسياق نجد أزمنة كثيرة ومتنوعة في لغتنا، ونجد أن المنهج التقليدي كان قاصرًا في كشف الاتجاهات الزمنية المتنوعة في اللغة العربية .

أمثلة:

الماضي: و**جاء** من أقصى المدينة رجل يسعى

الماضي التام : (ولقد **كانوا عاهدوا** الله من قبل لا يولون الأدبار)

الماضي المستمر : **(وكانوا يصرون** على الحنث العظيم)

المستقبل المؤكد : **(أتى** أمر الله فلا تستعجلوه)

الحاضر والمطلق: **تشرق** الشمس من الشرق

المستقبل القريب و البعيد : **سيفوز** فريقنا أو **سوف يفوز** فريقنا

9- لا تخلو أي جملة مهما كان نوعها من الدلالة على الزمن بما في ذلك الجملة الاسمية التي تفتقر للحدث والحدوث وليس للزمن . لاحظ الزمن في قولك مثلًا:

كان الطقسُ معتدلًا الماضي

سيكون الطقسُ معتدلًا المستقبل

الطقسُ معتدلٌ تقصد الآن أي الحاضر

إن وجود (كان) أو (سيكون) في الجملة لا يرشحها للفعلية ما دام الخبرُ - أي المسند - اسمًا ، وإنما يمنحها زمنًا محددًا. وهذا ينطبق على بعض اللغات الأخرى كاللغة الإنكليزية التي ظن دارسوها أنّ اللغة الإنكليزية ليس فيها جمل اسمية معتقدين أن ألفاظ (الكينونة/ is , was) الدالة على الزمن تُرشّح الجُمل للفعلية، والواقع انّ الزمن وحده لا يُرشّح الجملة للفعلية إذا لم يرتبط بحدث وحدوث.

لاحظ الفرق بين هاتين الجملتين:

Ali is a teacher = علي معلّم

جملة اسمية في كلتا اللغتين لأن المسند فيهما اسم

Ali teaches the students = علي يُعلّم الطلاب

جملة فعلية في كلتا اللغتين لأن المسند فيهما فعل. وهذا دليل على تشابه اللغات في القواعد الرئيسة لبناء الجُمل.

10- بناء (افعلْ) أي فعل الأمر مبني على العلامة الموجودة على آخر البناء، أي على الضم في (اذهبوا) وعلى الفتح في (اذهبَا) وعلى الكسر في (اذهبِي) ولا يصح أن يقاس على الفعل المضارع المتصل بمثل هذه الضمائر فيُقال إنه مبني على حذف النون، وأين هي تلك (النون) المزعومة في أفعال الأمر!!

11- لا يشترط المنهج المقترح الالتزام بالمصطلحات التي لا تدل على المعنى النحوي أو وظيفة الكلمة في الجملة، كمصطلح (المبتدأ) الذي يشير إلى موقع الكلمة، وبما أن الكلمة في الجملة العربية لا تلتزم موقعاً بعينه ، فهي تتقدم أو تتأخر على حسب متطلبات المعنى لذلك يقترح المنهج مصطلح (المسند إليه) المعروف أو (المخبَر عنه) بديلاً لمصطلح (المبتدأ) لكي يتناسب مع مصطلح (الخبر/ المسند) في الجملة الاسمية المؤلفة من (خبر ومُخبَر عنه أي مسند ومسند إليه)، وكذلك (حروف الجر) تصبح (أدوات الإضافة) نظراً لوظيفتها في الجملة، ويلغي المنهج المقترح مصطلح (المضارع) الذي لا علاقة له بأي دلالة من دلالات صيغة (يفعلُ).

12- يركز المنهج المقترح على قواعد الربط بين الكلمات وبين العبارات من أجل بناء الجُمل ، ثم الربط بين الجمل من أجل تأليف النصوص. كما في الأمثلة الآتية:

(فرددناه إلى إمه كي تقرّ عينها) جملة واحد مؤلفة من عبارتين مرتبطتين بأداة الربط (كي).

(وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء ، وقضي الأمر، واستوت على الجودي ، وقيل بُعدًا للقوم الظالمين)

سياق مؤلف من عدة جمل مرتبطة مع بعضها برابط (الواو).

خامسًا: نتائج تتعلق بفهم أعمق لعلامات الإعراب في العربية

العلامة الإعرابية في المنهج المقترح قرينة دلالية، وهي في الاسم تدلّ على المعنى النحوي الرئيس الذي يؤديه الاسم، أي إلى وظيفته في الجُملة، وفي العربية توزيعٌ دقيقٌ لهذه العلامات يدلّ على أن العقل التي أنجز هذه اللغة عقل منظم وفي غاية الدقة والدليل فيما يأتي:

العلامات على الأسماء

تمييز المعاني الذهنية الرابطة المختلفة بعلامات مختلفة

(الرفع) للمعنى المركزي أي **(للإسناد)** الذي تُبنى عليه الجملة ما لم يطرأ عليه طارئ من المعاني العامة ، نحو: المعلمُ مثقفٌ.

(النصب) للمعنى الذهني المتعلق بالإسناد وهو **(التخصيص)** أو التحديد وله اتجاهات متعددة تشمل المفاعيل كافة والحال والتمييز والمستثنى والمخصوص ، وكذلك هو (أي النصب) للأسماء التي تقتضي التخفيف في المواضع الثقيلة، وبذلك يكون النصب لكل ما خرج من دائرة الإسناد ولم يدخل في حيّز الإضافة. نحو: يقرأ المعلمُ **كتبًا**.

(الخفض) لمعنى **(الإضافة)** سواء أكانت الإضافة بدون أداة أم بوساطة أدوات الإضافة المسماة في المنهج التقليدي بحروف الجر. نحو:

يقرأ المعلم كتبًا **في مكتبةِ المدينةِ.**

أما **(التوضيح التابع)** فالاسم فيه يماثل متبوعه رفعًا ونصبًا وخفضًا. نحو: يقرأُ المعلمُ **المثقفُ** كتبًا **كثيرةً** في المكتبةِ **الكبيرةِ** .

2- اختلاف الدور الوظيفي والمعنوي للكلمة يتبعه اختلاف العلامة

نلاحظ أن المسند إليه عندما يكون رئيسا في جملته وقد بنيت عليه الجملة الخبرية يأتي مرفوعًا، فإذا لم يكن رئيسًا في جملته بل متعلقا بالجزء الرئيس في الجملة، أو لم يكن للإخبار يأتي منصوبًا .

فالفرق في الوظيفة وفي المعنى يتبعه فرق في العلامة.

لنلاحظ الفرق الوظيفي والمعنوي للمسند إليه في الجمل الآتية:

الطقسُ معتدلٌ	أتوقع أنّ الطقسَ معتدلٌ
الطقسُ معتدلُ	الفصلُ شتاءٌ لكنّ الطقسَ معتدلٌ
الطقسُ معتدلٌ	ليت الطقسَ معتدلٌ
الطقسُ معتدلٌ	لعل الطقسَ معتدلٌ

العلامات على الفعل:

أما علامات الإعراب في الفعل، وأقصد حالة الرفع أو النصب أو الجزم على صيغة (يفعلُ) المسماة بالفعل المضارع فتدلُّ على الفروق المعنوية للفعل داخل الجملة وهذه الفروق هي :

- **الفروق في الوظيفة:** نحو (يسرُّني أن تنجحَ) يسرُّ: مرفوع لأنه الفعل الرئيس الذي بنيت عليه الجملة ، تنجحَ : منصوب لأنه فعل متعلق أو مرتبط بالفعل الرئيس على معنى الفاعلية، فالفرق في الوظيفة تبعه فرق في العلامة.
- **الفروق في الاتجاه الزمني للفعل في الجمل المنفية** : فالضمة لنفي الفعل في الزمن الحاضر، نحو: (لا يشاركُ زيدٌ في السباقِ). والفتحة لنفي الفعل في المستقبل، نحو: (لن يشاركَ زيدٌ في السباق). والسكون لنفي الفعل في الماضي، نحو:(لم يشاركْ زيدٌ في السباق). فالفرق في الاتجاه الزمني للفعل المنفي تبعه فرق في العلامة.

- **الفروق في حدوث الحدث من حيث <u>التحقق أو عدم التحقق</u> يتبعه فرق في العلامة في كثير من الأفعال** :

نحو:**(يلعبُ فريقنا)** الفعل مرفوع لان حدوث الحدث متحقق

(إن يلعبْ فريقنا يفزْ) الفعل مجزوم (معدوم العلامة) لأن حدوث الحدث غير متحقق لأنه مُعلّق، ففي الشرط حدثان، حدوث أحدهما معلّق على حدوث الآخر.

(لا تلعبْ مع فريقنا) الحدوث غير متحقق لان الحدث (الفعل) منهي عن إحداثه، لذلك انعدمت العلامة.

(ليلعبْ فريقنا) حدوث الحدث غير متحقق لأنه أمر بإحداث الحدث.

- **الفروق في الإسناد عند الاتصال بنون التوكيد** : نحو(هو يقولَنّ الحقّ) للمفرد (هم يقولُنّ الحقّ) للجماعة فإذا اقترن بنون النسوة جاء ساكنا مراعاة للفروق ولأمن اللبس (هن يقلْنَ الحقّ) فالفرق في مَن أسنِدَ إليه الفعل تبعه فرقٌ في العلامة على آخر الفعل.

وبهذا العرض يتضحُ أن الحالات الإعرابية بعلاماتها المختلفة جاءت إشارات لتمييز المعاني المختلفة أو مراعاة للفروق لأجل أمن اللبس سواء أكانت علامات مختلفة على الأسماء المعربة أم كانت علامات مختلفة على الفعل- صيغة (يفعل) - المسمى بالفعل المضارع، وهي بهذه الدقة في التوزيع المنظّم تدل على أن العقل الذي أنتج هذه اللغة يتميز بالدقة والتنظيم.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن اللغة نظام كلي تتفاعل داخله مجموعة من القواعد والعلاقات، وأن فهم هذا النظام لا يتحقق على نحو دقيق إذا عولجت أجزاؤه بمعزل عن الكل. ومن هذا المنطلق قدمت **نظرية الصفر اللغوي للنحو الكلي** تصورًا يبدأ من الفكرة الكلية، وينتقل إلى بناء الجملة ثم إلى مكوناتها، مستندًا إلى مبدأ جوهري هو **الانتقال من الكل إلى الجزء**.

وقد أظهرت التطبيقات أن هذا التصور يعيد ترتيب العلاقة بين **المعنى والسياق والوظيفة النحوية والعلامة الإعرابية**؛ إذ يصبح المعنى والسياق منطلقًا لتحديد الوظائف والعلاقات، وتأتي العلامة الإعرابية دالة عليها، لا محورًا أوليًا لبناء القاعدة. كما أتاح إعادة النظر في عدد من القضايا النحوية، ومنها بناء الجملة، والفاعل، والزمن، وكان وأخواتها، وأفعال المقاربة والشروع، وغيرها من القضايا التي تناولتها الدراسة.

وتتجاوز أهمية النظرية الجانب التطبيقي في العربية إلى بعدها اللساني العام؛ فهي تسعى إلى الانتقال بالنحو العربي **من إطار التقعيد التراثي إلى فضاء الدراسات اللسانية الحديثة**، من خلال بناء تصور كلي لآليّة إنتاج اللغة والعلاقات التي تنتظم بها مكوناتها. وتزداد أهمية هذا البعد عند مقارنتها بالنظرية **التوليدية التحويلية** عند نعوم تشومسكي؛ إذ تلتقي معها في النظر إلى اللغة بوصفها نظامًا ذهنيًا قادرًا على إنتاج عدد غير محدود من الجمل انطلاقًا من قواعد محدودة، مع اختلاف الأساس النظري وطريقة بناء العلاقات وتحليلها في كل منهما. ومن ثم فإن نظرية الصفر اللغوي تضع النحو العربي في مستوى من الحوار النظري مع أبرز الاتجاهات اللسانية الحديثة، بدل أن يبقى حبيس التصنيفات النحوية الموروثة.

ولا تستهدف نظرية الصفر اللغوي إلغاء التراث النحوي أو القطيعة معه، وإنما **إعادة تنظيم منجزه داخل رؤية كلية حديثة** تستوعب ما فيه من معارف، وتعيد تفسير العلاقات النحوية في ضوء المعنى والسياق والوظيفة. وبذلك يمكن أن تمثل نظرية الصفر اللغوي خطوة في مسار انتقال النحو العربي **من التراث إلى اللسانيات الحديثة، ومن دراسة الأجزاء إلى بناء الكل، ومن العلامة إلى الوظيفة والمعنى**، مع إبقاء النظرية مجالًا مفتوحًا للاختبار والتطبيق والمناقشة والتطوير.

المصادر والمراجع

- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر 1973م
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة ، بيروت 1978م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي ، الطبعة الأولى ، بيروت 1963م.
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، الدكتورة سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر الأردن، الطبعة الأولى 2003م.
- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة بغداد 1983م،